المرأة الصالحة ودورها الاجتماعي والاقتصادي في محاربة الآفات الاجتماعية: الجهل أنموذجًا

أ. د. حيدر عبد الحسين زوين[1]

الملخّص

تحتل المرأة الصالحة مكانة اجتماعية كبيرة في جميع مجتمعات الدول المتقدمة وبخاصة في دول العالم المتحضّر، من خلال مسؤولياتها الكبيرة والعظيمة. وبناء على أهمية دورها هدف البحث إلى التعريف بشخصية المرأة الصالحة في المجتمع الإسلامي، وإظهار معالمها وصفاتها وماهيتها. كذلك ركّز على إظهار الدور الاجتماعي للمرأة الصالحة، ثم بيان الدور الاقتصادي لها. كما أكّد على بيان أهمية دورها في المجتمع من خلال محاربة الآفات الاجتماعية البارزة فيه والتركيز عليها لاسيما في محاربة الجهل والتخلّف. وخلص إلى أنّ المرأة الصالحة هي عنصر أساس في المجتمع فلا يمكن الاستغناء عنها وتهميشها، فتهميش المرأة الصالحة هو تهميش وإقصاء للمبادئ الإنسانية. فهي نصف المجتمع وصاحبة التغيير، ويكون المجتمع مجتمعا ناقصا غير مكتمل الهوية الإنسانية دون المرأة الصالحة الفعّالة. وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف المرأة الصالحة وماهيتها، ثم بيان أدوارها مع تحليل لذلك، وبيان آثاره على المجتمع في محاربة الجهل والتخلّف.

الكلمات المفتاحية: المرأة. الصالحة. دور. الاجتماعي. الاقتصادي. محاربة. الجهل.

المقدّمة

تحتلّ المرأة الصالحة مكانة اجتماعية كبيرة في جميع مجتمعات الدول المتقدمة، وبخاصّة في دول العالم المتحضّر، من خلال مسؤولياتها الكبيرة والخطيرة والحسّاسة والمتمثلة بالحرص والإشراف على تنوير وبناء عقول الأجيال وتنمية مهاراتهم وتنشيط فطنتهم، وبنيتهم التكوينية المجتمعية حتى يتسلقوا سلّم الأفضلية، والتقدم والنجاح لتحقيق التطور والازدهار الحضاري

١. أ.د. حيدر عبد الحسين زوين، جامعة الكوفة – كلية الآداب. . Email:

والبناء الفكري على جميع الأصعدة وفي جميع الميادين. لكن يبقى موضوع المرأة الصالحة في المجتمعات المشرقيّة محل دراسة وتشريع القوانين التي تساعد المرأة الصالحة في أن تأخذ دورها بشكل جدي، وعلى الرغم من أنّ إسلامنا المحمدي أزال النظرة الدونية للمرأة ومنح لها مزيدا من الحقوق.

يقول أحد الفلاسفة: «إن تقدم الشعوب والمجتمعات يقاس بتقدم المرأة الصالحة»، فمن دون المرأة الصالحة لا يمكن أن يكون هناك مجتمع متقدم ولا مستقبل مشرق ومزدهر لأبنائنا وأجيلانا، وفعلا وعلى مر الأزمنة نجحت المرأة الصالحة في بناء كثير من المجتمعات المتطورة، وحققت نجاحات كبيرة وقفزات هائلة وباهرة في محاربة الجهل والتخلف الذي أصاب مجتمعاتها، ولا يمكن أن يكمل هذا النجاح إلا من خلال رفع مستوى وعي المرأة الصالحة ورفع مستوى الإدراك الثقافي العلمي لها حتى نستطيع القضاء على الجهل والتخلف ونلحق بركب الأمم المتقدمة.

ولكن مع الأسف قامت بعض المجتمعات الشرقية بتهميش الدور القيادي والريادي للمرأة، وعملت على عزلتها وتغييب دورها وتحجيم مشاركتها الفعالة وتواجدها وتقييد حركتها في المجتمع، وهذا الأمر سببه الأعراف والتقاليد الموروثة والمفروضة أو إملاءات مجتمعية. وبإزاء هذه الحالة وجدنا التخلف والجهل قد سيطر وبشكل كبير على تلك الشعوب والمجتمعات، وتحكم بمصيرها وبمصير أبنائها مما جعلها تسجل تراجعًا واضحًا في كل نواحي الحياة وكل ما يتعلق بما هو حديث ومتطور. أنّ تعليم المرأة الصالحة وتطوير إمكانياتها ومهاراتها يساعد في تطوير التعليم التربوي والتقني والعلمي، والأمر بدوره يساعد بشكل كبير في محاربة الجهل والتخلف.

لذا يجب الخروج من هذا المأزق المهلك ومن هذه العقبة الكأداء، ومراجعة أنفسنا والوقوف ولو لبرهة من الزمن على بعض العادات الخاطئة والقرارات المغلوطة التي تكبل المرأة الصالحة وتحجم من دورها. لذا يجب إذابة جبل الجليد الذي يجثو منذ عصور فوق مكانتها وبراعتها وإفساح المجال لها للخروج من شرنقتها وإطلاق طاقتها الإبداعية وإبراز مكانتها العملية في أداء واجباتها ووظائفها المهنية وإثبات وجودها على جميع الأصعدة وكافة الميادين، ومن خلال إقامة الدورات التدريبية لها وإجراء حملات التثقيف والتعليم وفسح المجال لها من خلال المشاركات المختلفة. ولأهمية دور المرأة الصالحة دار بحثنا حول مبحثين هما:

١. المبحث الأول: الدور الاجتماعي للمرأة الصالحة في المجتمع.

٢. المبحث الثاني: دور المرأة الصالحة في مكافحة الجهل والتخلف.

المبحث الأول: الدور الاجتماعي للمرأة في المجتمع

لقد أدّت العادات والتقاليد البالية والإرث الاجتماعي والقبلي الموروث دورًا مهمًا في تقزيم المرأة الصالحة وتحجيمها في مجتمعنا الشرقي، وذلك باستعمال مختلف سبل التقزيم والتمييز، وتمّت محاربتها فكريًا بكافة أسلحة: (الذل، والحرمان، والتهميش)، حتى وصل الأمر إلى مستويات تتنافى مع مبدأ العدالة الاجتماعية وتقشعر له الأبدان وتنحبس له النفوس. وذلك من خلال إرغامها قسرًا على العزوف عن التعليم وإجبارها على ترك المدارس والتسرب من الجامعات، ومنعها عن كل وسائل نهل العلم والمعرفة وارتواء مصادر المعلومات المفيدة، وحرمانها من كل الوسائل المتاحة والبديلة للنهوض بشخصيتها وبذاتها شخصيًا، كالاطلاع على وسائل الإعلام المتاحة وشبكة التواصل الاجتماعي، لغرض تثقيف نفسها وتأهيل مقوماتها: (الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية)، ومطالعتها في البحث عما يجول ويدور حولها في دول العالم من معرفة وما وصلت إليه عجلة التطور البشرية. وبإزاء هذه الحالة المريرة أصبحت المرأة الصالحة تعاني من التهميش، والحظر المعرفي والمعلوماتي فظلّت عائمة في برك الجهل ومستنقعات التخلف، التي تجعل من أفراد مجتمعنا الذكوري يلقون عليها اللائمة إزاء ما وصلت إليه وينتقصون من فكرها وعقلها، الذي بسببه صارت أسيرة تصرفاتهم البشعة والظالمة بحقها، التي أوصلتها إلى هذه الرزيّة التي خلقت لها دنو فكري غير مبرر، حتى أنّهم كانوا قبل الإسلام ينظرون إلى المرأة الصالحة على أنها بخسة، وحرموها حتى من الإرث[1].

كذلك حرموها حتى من حق اختيارها وتوجهها المهني ومنعها من ممارسة هوايتها المفضّلة، وسلبوا منها آمالها وطموحاتها ووأدوا أحلامها بطرق مقززة يشيب لها الرضيع، وأجبروها على ترك الوظيفة أو الدراسة نزولاً لرغبتهم ورغبة من تأتمر بآرائهم السقيمة، وتدخّلوا حتى في زوجها واختياره الذي فرض عليها بالرغم عنها، ولم يلتفتوا جيدا لعواقب تلك الممارسات والأفعال والسلوكيات، ولم يحسبوا أي حساب، ولم يخططوا لمستقبل أجيالهم وكيفية تعليمهم وحسن تهذيبهم وأهمية تربيتهم بصورة جيدة، وأنّ المرأة الصالحة المختارة بحسب أهوائهم وعلى وفق مقاييسهم الوضيعة إذ لم تمتلك ما تستطيع تحقيقه لهم بأي حال من الأحوال؛ لأنّهم نظروا إلى أنّ المرأة الصالحة هي عبارة عن وعاء لإنجاب الأطفال حصرًا، وأنها وسيلة لإشباع غرائزهم الجنسيّة، فيفضلون إنّ تبقى أسيرة البيت ومجرد إنسانة مهمتها الطبخ، وغسل وتنظيف الفراش على مستوى: (علمها، وفطنتها، وذكائها). هذه النظرة الدونيّة أثرت بشكل سلبي وبصورة مباشرة في المجتمع وأفراده، وجعلت المرأة الصالحة التي هي نصف المجتمع تدفع تكاليف تلك الأفعال

---

١. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٥٦.

والأفكار السمجة والمشينة التي كانت نتائجها باهظة الثمن، وقد أدت تلك النظرة المزرية للمرأة الصالحة إلى حيازتها ووضعها في مرتبة متدنية جدا في سلم التقدم البشري وتسلسله، ومنها دورها في المجتمع، والأنشطة المختلفة. وعلى الرغم من المحن والمصائب التي تعرضت لها المرأة الصالحة؛ فقد كانت المرأة الصالحة تسعى لتحقيق العدالة منذ القدم باعتبار أنّ الحصول عليها هو الحصول عليها هي غاية السعادة البشرية[1].

لا يخف على لبيب أننا حين نجري مقارنة بين حال المرأة الصالحة في القرون الماضية وحالها الحالي، في القرن الحادي والعشرين، سنجد أن تقدّمًا كبيرا ملحوظًا حصل في وضع المرأة الصالحة في المجتمعات الشرقية، يتمثل في زيادة سعة دورها في المجتمع ازديادًا واضحا، وبروز مشاركاتها المتنوعة التربويّة والاجتماعيّة وحتى السياسية، وارتفاع كبير في نسبة النساء الواعيات والمتعلمات. كذلك إسهام المرأة الصالحة في عملية الإبداع الثقافي بشكل جيد إذ لم يسبق له مثيل، وتمت إسهاماتها في المشاركة في مواقع صنع القرار بشكل واضح وعلى المستويين (الفكري، والثقافي)، مع وجود تراجع كبير في نسبة الأميّة الأبجدية بين النساء، وتزايدًا في المشاركة في المؤسسات الحكومية وسلك القضاء وغيرها، هذه الظاهرة الصحيّة الجيدة جعلت المرأة الصالحة أن تؤدي دورا كبيراً في بناء المجتمع. لقد خاضت النساء الصالحات في القرون الماضية نضالاً عنيدًا من أجل تحقيق حقوقهن، وأثبتن كفاءة عالية ومتميزة في ميادين كثيرة، ما جعل المرأة الصالحة تحصد نتيجة ما زرعت النساء الرياديات الصالحات في المجتمع وفي مجالات عديدة مثل: (الصحافة والكتابة، والتعليم، والطب، والسياسة، والفكر والفن وغيرها)، وقد استطاعت أن تشق طريقها بنفسها، حتى وصلت إلى مراتب الذروة الأولى في بعض الأحيان، وانطلقت قدرتها الهائلة من القمقم الصدئ، وتصل إلى النور الأسمى من فيض قلبها المترع بالرحمات والعزائم والنعم[2].

إنّ دور المرأة الصالحة وإسهاماتها المجتمعية أمر في غاية الأهمية، فهي تؤدي دورًا مهمًا وأساسيا في بناء وتطور المجتمعات، من خلال دورها الفاعل في نشر الثقافة واتّساع التربية والتعليم على الرغم من التقاليد التي كانت تكبل المرأة الصالحة وتهمش دورها وتجعلها أسيرة داخل أسوار البيت، إلا أن عددًا من النساء تمكنَّ من تأدية دور مهم والوقوف إلى جانب الرجال، في التغيير والتعبير وبناء الواقع الاجتماعي، فبرزت القياديات، والكاتبات، والسياسيات، والباحثات الاجتماعيات اللاتي قمن بدور ريادي، وفتحن الأبواب المعرفيّة أمام من يمتلك الموهبة في كل أنواع الفنون والآداب، ولم يتوقف تأثيرهن عند حدود إقليمية بل وصلت مكانتهن وتأثيرهن

١. شريف حتاتة، العوملة والمرأة وتقسيم العمل الدولي، ص٢٣٨.
٢. مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، ص٢٩٠.

وإنتاجهن إلى شتى بقاع العالم، وبرز منهن مبدعات في مختلف الفنون، ما جعل مشاركة المرأة الصالحة في الإنتاج الإبداعي الثقافي، ركنًا أساسيًا في هذا الإبداع وامتلكن باعًا طويلاً في بعض ألوان الأدب والثقافة وهذه ظاهرة إيجابية عالمية تعبر الحدود مما أسهم بشكل كبير وجدي في بناء المجتمعات وتطورها، وتمكنت من أداء دورها الخلاق في بناء بلادها[1].

كما أنّ اتّساع مشاركة المرأة الصالحة في مؤسسات الدولة أمر في غاية الأهمية، إذ أنّ تواجد المرأة الصالحة في المؤسسات جاء كجزء من طبيعتها ويأتي في الأساس من باب الحرص على إسهام المرأة الصالحة في الواقع المؤسساتي. وقد أصبح اليوم إنجاز المرأة الصالحة جزءًا من حركة المجتمع، وقد أصبح اليوم وجود المرأة الصالحة في موقع اتخاذ القرار في المؤسسات الرسمية مثل الوزارات والبرلمانات والمجالس البلدية أمر في غاية الأهمية ويفرض نفسه. لقد كانت المرأة الصالحة في كل بقاع العالم ولا تزال محبة وصانعة للسلام، وتحاول أن تنشر مبادئ السلم والسلام في جميع أجزاء المعمورة، ولكن مع الأسف لم يأت من ينصف هذا الكائن الجميل ويجعله في المقدمة، وإنما غيب دورها وهمشت صورتها وأصبح دورها ثانويًا في كافة المجالات.

لقد كانت المرأة الصالحة التي هي: (الأم، والزوجة، والأخت، والحبيبة، وصانعة أجيال، ومربية رجال، ومحققة أماني، وصانعة انتصارات، وقد ربت أجيالاً من الأبطال أسهموا ببناء الأوطان والشعوب، هذا الأمر قد أعطى دورًا كبيرًا للمرأة في إسهام المرأة الصالحة في بناء المجتمع، ولها حق التعبير واعتناق الآراء من دون إكراه، وقدرة على التعبير عن حقها بوسائل مختلفة من دون تهديد خارجي[2].

لقد كانت المرأة الصالحة وبخاصة المرأة الصالحة في العراق هي المجاهدة والمناضلة والمقاتلة، وهي الأم والأخت، وصاحبة الأهازيج الثورية التحريضية ضد الطغاة والمحتلين، ابتداءً من الاستكبار البريطاني وحتى اليوم، فقد حملت السيف والمكوار في أيام ثورة العشرين الخالدة وحملت السلاح للدفاع عن كرامة الشعوب والأوطان، وفي العراق أسهمت المرأة الصالحة بشكل واضح وكبير في دحر أعداء الإسلام والسلام وأعداء المحبّة من الظلاميين داعش ومن لف لفهم. كما كانت المرأة الصالحة هي الفلّاحة التي حرثت أرض الفراتين العظيم دمًا قبل الماء وزرعتها وردًا؛ فأثمرت خيرًا: إنَّها راعية المحبة وراعية الأغنام وهي راعية البيوت، وهي الفارسة البطلة مالكة المنجل والحديقة والبستان والحقل، وحاملة القلم والدفتر لتنير العقول والمهج، وهي المربية

---

١. روزا شايدولينا، المرأة العربية والعصر، ص٧٧.

٢. عبد الأمير شمخي الشلاه، حقوق الإنسان في الميزان، ص٣٧.

والشاعرة والطبيبة والمهندسة والرائدة في مجال الأعمال، إنّها عشتار العراق ونهره الثالث وهي الخالدة على مر العصور[١].

إنّ هذه الأدوار المهمة للمرأة الصالحة ساعدتها على بناء أجيال ومجتمعات متقدمة ربما يصعب على الرجال أن يحققوا ذلك، كما أنّ حصول المرأة الصالحة على المساواة دفعها إلى الأمام بوتائر مختلفة، وساعدها أن توصل صوتها إلى المحافل الدولية والعالميّة.

المبحث الثاني: دور المرأة الصالحة في مكافحة الجهل والتخلف

الجهل هو من أكثر العلل التي تعيق الإنسان عن رحلته في طلب العلم والمعرفة، وهو بأبسط مقوماته قائم على الأميّة المقنعة والتمسك بالعادات القديمة البالية والانسياق وراء أفكار ورؤى غير سويّة، مما ينتج عنه وقوع كثير من المشاكل والأضرار المتنوعة. لذلك يجب التصدي للجهل والأميّة والتخلف، وكذلك الأفكار الخاطئة بما يضمن استقرار، وصلاح المجتمع، وتطوره، وتقدمه وبناءه. وتنشر آفة الجهل في المجتمع؛ نتيجة لأسباب يطول الحديث عنها، منها:

١. الابتعاد عن التعليم وانعدام الرغبة في طلب العلم والمعرفة.

٢. التسليم وراء معتقدات غير صحيحة تسوق الإنسان نحو الهاوية، وتهدد استقرار الإنسان واستقرار بناء المجتمع.

ينشأ الجهل نتيجة لغياب العقل، كما أنّه يفقد الإنسان قدرة التصرف واتخاذ القرارات بحريّة، ويؤدي إلى هيمنة الإحباط والسلبية في مفاصل الحياة، كما ويؤثر في تقدم واستقرار المجتمع، ويخلق بيئة متطرفة وعنصرية ربما تقوم على الاضطهاد والعنصرية وإلغاء الآخر وبث روح الحقد والكراهية.

وإنّ انتشار الجهل يعيق تقدم المجتمع ويعرقل مسيرة التنمية الوطنية ويتسبب في انتشار التعصب والعنف في المجتمع، وضرر الجاهل أشد وأنكى في المجتمع من غيره.

قال سهل بن هارون: «وجدت مودة الجاهل، وعداوة العاقل، أسوة في الخطر، ووجدت الأنس بالجاهل، والوحشة من العاقل، سببين في العيب، ووجدت غش العاقل أقل ضررا من نصيحة الجاهل، ووجدت ظن العاقل أوقع بالصواب من يقين الجاهل، ووجدت العاقل أحفظ لما لم يستكتم من الجاهل لما استكتم»[٢]، ومضرة الجاهل ليست بذات الحد، والمحدود أقل ضررًا ما هو غير محدود[٣].

---

١. خانم زهدي، صفحات من تاريخ الحركة النسوية العراقية، ص١٢.
٢. شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣ ص٣٥٥.
٣. أبو الحسن الماوردي، أدب الدين والدنيا، ص١٦٩.

لكلّ أمة من الأمم جُهَّالها ومتخلفوها ونسبتهم بالنسبة أهل العلم في أي مجتمع من المجتمعات الشرقية عالية نوعا ما، ومهما كان تصنيف هذا المجتمع وترتيبه، لذلك تحرص الدول المتقدمة إلى تقليل هذه النسبة بأي شكل من الأشكال، وانتشال أجيالها الواعدة من هذا المستنقع الآسن المميت، فتعد لأبنائها المدارس، والمعاهد ودور العلم ومكاتب مكافحة الأمية، وغيرها وحسنًا تفعل، والأمة المتخلفة والجاهلة لا يحسب لها حساب بين الأمم، بل يتم تصنيفها تصنيفًا أخيراً بين الأمم، وان الجاهل هالك لا محالة؛ لأنه لا يضع الأمور في غير مواضعها، وكثيراً ما صدر منه سوء تصرف والحماقة المفرطة، وينتج عنها التهور وسرعة الغضب والضعف والوهن والانفعال السريع وسوء التصرف والسلوك المشين؛ لأنّ الجاهل لا يعرف إدارة الأمور بالرويّة والتأني والصبر والحكمة، وإنما يسعى إلى الحلول بحماقته التي لا مبرر لها ولكن سرعان ما يقع في الخطأ والتردي والسقوط بسبب غياب العلم والمعرفة، قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، وقال رسول اللّه ﷺ:

«من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين»[2]،وقال العالم الجليل أبوذر الغفاري رضي الله عنه إذ أدرك ذلك بحسه النبوي فقال: «العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس لا خير فيهم، كن عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكن الرابع فتهلك»[3]، أي المقصود به الجاهل.

إنّ أخطر أنواع الجهل يتمثل في فقدان تعلم القراءة والكتابة ويعد هذا النوع من الجهل الأكثر انتشارًا، فضلاً عن الجهل الناتج عن انغلاق العقول والاندفاع وراء أفكار ومعتقدات بالية وخاطئة، من دون النظر إلى مدى صحة الأفكار الأخرى من عدمها. وهذا النوع من الجهل هو أخطر أنواع الجهل فهو يؤدي إلى حدوث كثير من الكوارث الكبيرة ويتسبب في سيطرة وانتشار الأفكار الإرهابية الهدّامة والعنصرية التي تهدم استقرار وأمن المجتمع وتعيق من مسيرته.

وهذا النوع من الجهل يحارب القيم النيّرة والمعارف البناءة والمبادئ المتنورة المتعارف عليه من أصول الدين وفي أصول المعارف منها ارتكاب المخالفات المنوعة التي تضر بالبيئة والمرافق العامة وتؤدي إلى انتشار الفساد والسرقة وإلغاء الآخر وغيرها، مما ينتج عنه كثير من الكوارث والأزمات إذ يخلق الجهل بيئة موبوءة غير صالحة للعمل والإنتاج مما يعرقل سير التنمية ويهدد

---

١. سورة الزمر، الآية ٩.

٢. ضياء الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ): علي بن محمد بن حبيب الماوردي أبو الحسن، ١١٧.

٣. محمد البخاري، صحيح البخاري، ج١ ص١٥٠.

استقرار المجتمع ويتسبب في انتشار الأمراض والكوارث المجتمعية التي يصُعب معالجتها كالقتل والاضطهاد الفكري والجسدي والعقلي، والجمود والتحجر والخرافة. وقد دعا القران الكريم إلى تحرير العقل من الخرافة والجمود ودعا إلى طلب العلم والمعرفة.

وبهذه الدعوة انطلق العقل الإنساني وتشكّل العقل السليم، فحقق الإنسان في ظل هذه الدعوة حريته كما حققت الفتوحات العلمية في مجال الطبيعة والمجتمع والإبداع الثقافي[1].

ومن هنا يبرز دور المرأة الصالحة القيادي في محاربة الجهل بكل أنواعه من خلال حملات التثقيف البناءة التي تقوم بها المرأة الصالحة من خلال بيان أهمية المعرفة والعلم ودورهما في بناء وتقدم المجتمعات.

علينا أن ننحني إجلالاً وإكرامًا للمرأة لما قدمته من إنجازات كبيرة في خدمة المجتمع، ومحاربة الجهل والتخلف في العقود الأخيرة في سائر بلدان العالم الثالث وكذلك ننحني إجلالاً على إصرار المرأة الصالحة على النضال في محاربة الانكسارات المعمدة التي طالتها، ووقفت أمامها تلك المرأة الصالحة بصمود وعز وبالحرمات والدموع بالدم واغتصاب أبسط حقوقها. كما يجب أن ننحني إكراما وإجلالا للنساء اللائي قدمن حياتهن السخية على مذابح الحرية، والوقوف بوجه الجهل، والتخلف ومحاربة الأفكار المتطرفة من أمثال داعش (الدولة الإجرامية)، التي ترفع شعار الدين ظلما، وعلينا أن نستذكر بإجلال واحترام مئات الآلاف من النساء العراقيات من الأخوات والزوجات والقريبات من عربيات وآشوريات وكاثوليك، وصابئيات ، وكرديات وغيرهن، وهن يعشن في أشتات التهجير القصري الذي فرض عليهن من قبل حركة داعش الإجراميّة وهنّ يسطرن أروع الأمثلة في الصمود والصبر دفاعًا عن تراب العراق الأبي، وفي الدفاع عن الحقيقة؛ إذ لا فرق بين الرجل والمرأة الصالحة[2].

ولكي يكون كفاح المرأة الصالحة مباركًا وناجحًا في محاربة الجهل والتخلف يجب أن يقترن على وفق مواصفات مهمة من أهمّها:

١. أن يقترن محاربة الجهل والتخلف بالإيمان باللّه ورسله، خصوصا وأنّ الإسلام قد رفع مكانة المرأة الصالحة وأكرمها وجعلها من شقائق الرجال، وقرّة عيونهم، وثمرة الفؤاد وهي المعززة المكرمة ولا يرض الإسلام أن تمتد يد السوء على المرأة الصالحة إطلاقا ولا ألسنة الأذى، قال ﷻ بحقهن: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ

---

١. مؤسسة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، مفاهيم حضارية، ص٢٢.
٢. مرتضى مطهري، التربية والتعليم في الإسلام، ص١٣.

﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وقال الرسول ﷺ بحقهن: «لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فيتقي الله فيهن، ويحسن إليهن إلا دخل الجنة»[2].

وقد راعى الإسلام الإمكانية الجسدية والظروف الشخصية وتكاليفهما العائلية، وألصق من الحياة بالمرأة الصالحة حنانها المشهور[3]. وروي عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: «خير نساءكم الطّيبة الريح، الطّيبة الطبيخ، التي إذا أنفقت، أنفقت بمعروف وإن أمسكت، أمسكت بمعروف، فتلك عامل من عمال الله لا يخيب ولا يندم»[4].

فحنان المرأة الصالحة وقلبها الرقيق يدعوها لمحاربة الجهل والتخلف المقرون بالإيمان حتى يتحقق توفيقه وتسديده من اللّه.

٢. لكي تتمكن المرأة الصالحة من محاربة الجهل والتخلف يجب أن تأخذ المرأة الصالحة حقّها في التمثيل في مقاعد الدولة، وفي المناصب الحكومية والوزارات المختلفة والدوائر الحكومية والرسمية وفي مختلف منظمات المهنية، فقد أخذت المرأة الصالحة في صدر الإسلام على عاتقها مراقبة التجار وأهل السوق من الرجال والنساء. وتعد الشفاء بنت عبداللّه بن عبد شمس[5] أول امرأة تقلّدت منصب وزير في الأمّة الإسلاميّة، وخصوصًا أنّ مظاهر التبعية والغبن والقهر التي تعرضت لها المرأة الصالحة، في الحقب الماضية شديدة جدًا مما عرقل عملها في محاربة الجهل والتخلف.

٣. كي تأخذ المرأة الصالحة الدور الأمثل في محاربة الجهل والتخلف يجب أن نسعى إلى دعم الجهود المبذولة لمكافحة الأميّة المنتشرة نوعا ما في صفوف النساء، عبر تنشيط فتح دورات حكومية ومدارس لمكافحة الأميّة حتى يكون للمرأة المتعلمة شأن كبير في محاربة الجهل والتخلف.

٤. العمل على إنشاء وتطوير دور المنظمات المهنية والتجمعات والرابطات النسوية المهنيّة

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

٢. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج٥ ص٢٧٩.

٣. عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص٢٩.

٤. محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٥ ص٣٢٤.

٥. الشفاء بنت عبد اللّه بن شمس بن خلف القرشية العدوية، وقيل: اسمها ليلى. أسلمت قبل الهجرة، وكانت من عقلاء النساء وفضيلتهن، وكان أحد الخلفاء المسلمين في عصور الإسلام يقدمها في الرأي، ويفضلها، وربما ولّاها شيئا من أمر السوق، وأقطعها رسول اللّه ﷺ دارًا بالمدينة، توفيت نحو عام: ٢٠هـ.

والإسلاميّة، لكي تقدم وتساعد المرأة الصالحة في أن تؤدي دورًا رائدًا، وتقدم كل أشكال الدعم للمرأة الصالحة؛ لكي نساعدها في تطوير دورها الثقافي والاجتماعي في المجتمع، وتشيع روح المساواة والرؤية السويّة للمرأة والرجل، وضمان تقدم المرأة الصالحة وتطورها في التكوين الثقافي الإنساني والذي بدوره يسهم في محاربة الجهل والتخلف.

٥. نشر مبادئ حقوق الإنسان التي تتدفق علينا من القرآن الكريم.

٦. نشر مبادئ حقوق الإنسان التي تتدفق علينا من سنّة الرسول الأعظم ﷺ وأقواله وأفعاله وكذلك أحاديث المعصومين وسيرهم وبخاصةً تلك المتعلقة بحقوق المرأة الصالحة الاجتماعية.

٧. ينبغي الحذر من بعض الاتفاقيات التي قد تحدث شرخا عميقا بين الرجل والمرأة الصالحة وتحدث الفتن والاضطرابات بين أبناء المجتمع ولاسيما تلك الوافدة منها من الدول الغربية مثل: (اتفاقية مناهضة التمييز الأنثوي، واتفاقية حقوق الطفل، والأمومة.)

٨. نشر مبادئ حقوق الإنسان في: (الجامعات، والمدارس، والمعاهد، والكليات) كافة، بما يخلق وعيًا مشتركًا بالحقوق المتساوية بين المرأة الصالحة والرجل، وأنّ اهتمام المجتمع بالأسرة وبالمرأة الصالحة لا يقف عند الحكم الفقهي، وإنما يتعداه إلى الترغيب والتهذيب، وأنّ المرأة الصالحة هي نصف المجتمع وأم الجميع[1] يقول الإمام الصادق عليه السلام بحقها:«اتقوا الله في الضعيفين: اليتامى والنساء»[2].

٩. فضلاً عن ذلك يتطلب هذا الأمر إلقاء الدروس والمحاضرات التثقيفية حول حقوق المرأة الصالحة في مؤسسات الدولة الحكومية، وكافة المرافق الحكوميّة وغير الحكوميّة لتعزيز دور المرأة الصالحة في مكافحة الجهل والتخلف.

١٠. ضرورة دعم جهود المرأة الصالحة في المشاركة في النشاط الاجتماعي والتربوي الرياضي والفني وفي مختلف فروع وفنون الإبداع؛ لأنّ هذا الأمر يعطي دور مهمًا للمرأة في محاربة الجهل والتخلف.

١١. لكي تسهم المرأة الصالحة في محاربة الجهل والتخلف والانحطاط الذي يحيط بالمجتمع، يتحتم على السلطة التشريعية سن القوانين التي تفرض العقوبات الرادعة على الأطراف المعتدية عليها من غير وجه حق وتحرم الاعتداء على المرأة الصالحة؛ تشريعًا ومعاقبة. وتحريم أي نوع

---

١. مجموعة باحثين، الإمام الصادق حاضرة علمية وجامعة فكرية، ص٣٤٦.
٢. محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج٦ ص٣٨٩.

من أنواع القتل بحق المرأة الصالحة، وإنزال أشد العقوبات القانونية بفاعليّة ومنع أي اعتداء وترهيب لأطفالها وعائلتها، ومعاقبة من يمارس القيود المكبلة والمجحفة والظالمة بحقها، التي تتجاوز النصوص القرآنية والسنة النبوية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، التي تجعل المرأة الصالحة في سجن إضافي للسجون الاجتماعية والنفسية والذهنية التي تعيشها[1] إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير نسائكم الخمس، فقيل: وما الخمس؟ قال عليه السلام: الهيّنة، الليّنة، المواتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتّى يرضى، والتي إذا غاب زوجها حفظته في غيبته، فتلك عاملة من عمّال الله لا تخيب»[2]، ومن ذلك أيضًا قال إبراهيم الكرخي: قلت للصادق عليه السلام: إنّ صاحبتي هلكت، وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوّج، فقال عليه السلام: «انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرّك وأمانتك، فإن كنت لا بدّ فاعلًا فبكرًا، تنسب إلى الخير وإلى حسن الخلق، هنّ ثلاث: فامرأة ولود ودود، تعين زوجها على دهره لدنياه ولآخرته، ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيم لا ذات جمال ولا خلق، ولا تعين زوجها على خير، وامرأة صخّابة ولّاجة همّازة، تستقلّ الكثير ولا تقبل اليسير»[3].

١٢. إنّ سن قوانين حقوق المرأة الصالحة يدفع بعملية محاربة الجهل والتخلف إلى الأمام؛ لأنّ المرأة الصالحة أم العالم ووجدان البشرية، وإن أم العالم هذه ليست تحت أقدامها الجنة فقط وإنما تحت أقدامها العالم[4].

١٣. تفعيل دور وسائل الإعلام المختلفة في دعم المرأة الصالحة وإظهار دورها المميز في مكافحة الجهل والتخلف، والسماح للمرأة بطرح مشاريها الراهنة والمستقبلية، وتعبئة المرأة الصالحة حول أهداف نضالها من خلال وسائل الإعلان المتنوعة؛ لأنّ المرأة الصالحة هي مدرسة الأجيال وهي التي تمثل نصف المجتمع وتربي النصف الآخر وكفى بذلك تعبيرا عن أهمية دور المرأة الصالحة في نشوء المجتمع الصالح[5]. قال الصادق عليه السلام: «إنّما المرأة قلادة، فانظر ما تتقلّد، وليس لامرأة خطر، لا لصالحتهنّ ولا لطالحتهنّ، فأمّا صالحتهنّ فليس خطرها الذهب والفضّة، هي خير من الذهب والفضّة، وأمّا طالحتهنّ فليس خطرها التراب، التراب خير منها»[6].

---

١. نوال عبد العزيز العيد، حقوق المرأة في ضوء السنّة النبوية، ص ١٧.
٢. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٠ج، ص٢٣١.
٣. المصدر نفسه، ج١٠٠، ص ٢٣٢.
٤. عبد الكبير المدغري، حقوق المرأة في الإسلام بين أحكام الفقه والدعوة إلى التغيير، ص١٤٧.
٥. جهاد الأسدي، المرأة الصالحة في الإسلام، ص٣٤.
٦. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٢٣٣.

١٤. لكي تتم المرأة الصالحة دورها الرسالي في مكافحة الجهل والتخلف، يجب تفعيل مكافحة البطالة المنتشرة بشكل واضح بين النساء، وضمان حقهن في التعليم العام والمهني، وفي العمل في جميع المجالات من دون استثناء لغرض حصولهن على أجر كاف مساوٍ لأجر الرجل في العمل المماثل، وتوفير مستلزمات عمل المرأة الصالحة على وفق حاجة المرأة الصالحة وهذا أمر لا محالة يسهم في مكافحة الجهل والأمية.

١٥. لكي يفعل دور المرأة الصالحة في محاربة الجهل والتخلف، يجب ضمان حقوق المرأة الصالحة دستوريًا في العمل بجميع المراكز والمناصب الحكومية ابتداءً، بغض النظر عن الدين والقومية أو الفكر أو المذهب وتشجيع إسهام المرأة الصالحة في النشر النسوي والعمل الإعلامي والمؤتمرات، لغرض رفع مستوى التبادل العلمي والمعرفي والخبرة والمشاركة في مختلف النشاطات الإبداعية ومنح فرصة مناسبة لنشر نتاجاتهن الفكرية والإبداعية المختلفة، بما في ذلك الانتخابات، ولكي تمارس المرأة الصالحة حقها في الانتخابات لابد من ضمانات عامة وضمانات خاصة تكفل ممارسة هذا الحق ممارسة قانونية على أساس إنّ الانتخابات حق متكامل لا يمكن ممارسته من دون تلك الضمانات[١].

إنّ المرأة الصالحة تعد ملح الحياة وهي في الوقت نفسه الحس والفكر والنهر الذي لا ينضب الذي يصب في جداول الحياة فيزيدها رونقًا وبهاءً وجمالاً، ومن دونها لا يكون للمجتمع قيمته ويفقد خواصه ومعناه، ومزاياه وهي حجر الزاوية في بناء المجتمعات إذ تعد عاملاً مهمًا من عوامل تقدمه، وأنّها قادرة بفكرها الخلّاق على بناء المجتمع المتحضر في عقول البراعم التي تحت أياديها الكريمة، وبجهودها المباركة نعيد ونبني تنمية صحيحة بدءًا من البيت ثم المدرسة وانتهاءً إلى المجتمع الذي سيزهر ويلمع بشعاع نورها، وبشعاع الجيل المتحضر الذي تربيه. فالمرأة الصالحة وأجيالها الصاعدة هي الأشجار المثمرة التي ننهل منها ولها جذور في أعماق المجتمع، غرضه تشكيل جيل واعٍ يبني مستقبلاً براقًا متمثلاً بالأبناء الذي أنجبتهم المرأة الصالحة، ممن يحملون فكرًا مشعًا براقًا لنبذ: (الإرهاب، والتطرف، والعنصرية)، والتعامل مع الآخر على أساس أنّ: «الناس صنفان إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، ومن وسط المعاناة والكوارث المجتمعية يبرز دور المرأة الصالحة في عمليه البناء ومكافحة الأميّة والجهل، لأنها تمتلك قدرات خلّاقة لخلق جيل متنور وترسيخ المفاهيم مجتمعية[٢]، ولكي تعد جيلاً ومجتمعًا مثاليًا يقتدى به فقد ضمن لها الإسلام في مطوياته وجنباته تشريعات تكفل حقوق كل من أفراد المجتمع صغيرا كان

١. محمد ثامر، حقوق الإنسان الأسرية والسياسية، ص٣٥.
٢. العتبة العلوية المقدسة، المرأة في الإسلام، ص٧.

أم كبيرا عبدا كان أم سيدا رجلا كان أم امرأة؛ فالمرأة الصالحة كما قيل نصف المجتمع[1]، فالمرأة الصالحة التي تهز المهد بيد تستطيع أن تهز العالم بأسره باليد الأخرى؛ لكن هل يمكنها أن تحارب الجهل والتخلف: الجواب على ذلك بنعم.

نتائج البحث وتوصياته

١. إنّ الإسلام المحمدي هو أول الأديان التي أعطت للمرأة الصالحة حقوقها المشروعة.

٢. المرأة الصالحة عنصر أساس في المجتمع إذ لا يمكن الاستغناء عنها وتهميشها فتهميش المرأة الصالحة هو تهميش وإقصاء للمبادئ الإنسانية.

٣. المرأة الصالحة تعد نصف المجتمع وصاحبة التغيير وأي تغيير أو بناء من دون المرأة الصالحة يكون ناقصًا وغير مكتملا في جميع أنحاء الحياة.

٤. تؤدي المرأة الصالحة دورًا أساسيًا في محاربة الجهل والتخلف.

٥. نطالب بسن قوانين تمكن المرأة الصالحة من أن تؤدي دورًا كبيراً في عملية البناء والتقدم والتطور الحضاري.

٦. على الجهات التشريعيّة المتمثّلة بمجلس النواب سن القوانين التي تكون فيها نسبة تمثيل المرأة فيها تقدر ب ٣٠٪ من نسبة المؤسسات والوزارات وغيرها.

٧. إصدار قوانين رادعة ضد أي شخص أو جهة تعتدي على المرأة الصالحة وتحاول الإساءة لها.

٨. المرأة الصالحة وكما قال رسول الإنسانية محمد ﷺ «المرأة جمانة لا قهرمانة».

٩. توجيه وسائل الإعلام المختلفة برفع مكانة المرأة الصالحة سواءً في الإعداد أم في الحضور أم في المواقف الأخرى.

---

١. محمد أحمد إسماعيل المقدم، عودة الحجاب، ج٢، ص٥٦٦.

المصادر والمراجع:

١. الأسدي، الشيخ جهاد: المرأة في الإسلام، منشورات، وإصدار: العتبة الكاظمية المقدسة -قسم الثقافة والإعلام، بغداد - العراق،٢٠١٣ م.

٢. البصري، خليفة بن خياط، طبقات خليفة بن خياط، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م.

٣. ثامر، محمد، حقوق الإنسان الأسرية والسياسية، مطبعة الكتاب العربي، بغداد - العراق، ٢٠١٢م.

٤. الجزري، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة الثقافية للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦. حتاتة، شريف، العولمة والمرأة وتقسيم العمل الدولي، مكتبة مدبولي الثقافية للطباعة والتوزيع والنشر، القاهرة - مصر، ١٩٩٩م.

٧. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة - مصر، ٢٠٠٦م.

٨. زهدي، خانم، صفحات من تاريخ الحركة النسوية العراقية، دار الرواد المزدهرة للطباعة والتوزيع والنشر، بغداد - العراق، ٢٠٠٧م.

٩. الزهري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور، دار الفكر العربي للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، دون سنة نشر.

١١. شايدولينا، روزا، المرأة العربية والعصر، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٠م.

١٢. الشلاه، عبد الأمير شمخي، حقوق الإنسان في الميزان، دار الرواد المزدهرة للنشر والتوزيع والطباعة، بغداد - العراق، ٢٠١٣م.

١٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

١٤. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٥. العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

١٦. العتبة العلوية المقدسة، المرأة في الإسلام، قسم الشؤون الدينية - شعبة التبليغ الديني، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

١٧. العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

١٨. العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار المعرفة للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٩. العقاد، عباس محمود، المرأة في القرآن، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧١م.

٢٠. العيد، نوال عبد العزيز، حقوق المرأة في ضوء السنّة النبوية، دار الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٢١. القرطبي، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٢٢. كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، دار العلم للملايين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي في الأصول والفروع، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٢٤. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٠١٣م.

٢٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

٢٦.مجموعة باحثين، الإمام الصادق حاضرة علمية وجامعة فكرية، دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف - العراق، ٢٠١٧م.

٢٧.المدغري، عبد الكبير، حقوق المرأة في الإسلام بين أحكام الفقه والدعوة إلى التغيير، مؤسسة آل البيت الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٩٩م.

٢٨.مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.

٢٩.مطهري، مرتضى، التربية والتعليم في الإسلام، رابطة أهل البيت الإسلامية العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة - العراق، ٢٠٠٠م.

٣٠.المعاونية الثقافية، حقوق المرأة ومسؤوليتها في النظام الإسلامي، دار المودة للنشر والتوزيع والطباعة، طهران - إيران، ٢٠٠٦م.

٣١.المقدسي، ضياء الدين أبو عبد اللّه، فضائل الأعمال، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٠هـ.

٣٢.المقدم، محمد أحمد إسماعيل، عودة الحجاب، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٣٣.مؤسسة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر، مفاهيم حضارية، بغداد - العراق، ٢٠٠٩م.

٣٤.النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.